المسلمون في الصين بخير.. ولكن!

استطلاع

وخلال زيارة قمت بها للصين الشعبية في الشهر الماضي، حرصت على التعرف على أحوال المسلمين هناك، وكان الموضوع بالفعل مدرجاً في جدول الزيارة الذي وضعته لي صحيفة «كوامينج» اليومية قبل وصولي.

المسلمون في الصين

يبلغ عدد المسلمين في الصين الآن أكثر من (١٣) مليون نسمة، وهناك عشر من الأقليات الصينية تعتنق الإسلام.

وينتشر المسلمون في الشمال الغربي من البلاد، وبصفة رئيسة في المناطق التي تقع على (طريق الحرير) الممتد من الصين شرقاً حتى إيران والعراق وتركيا غرباً، إلاّ أنهم الآن موجودون في كل مكان ... في العاصمة بكين في أقصى الشرق، وفي شنغهاي وكوانشو (كانتون) في أقصى الجنوب، وفي معظم المدن الصينية يوجد مسلمون، وتوجد مساجد، وتطالعك اللافتات بالعربية والصينية (مطعم إسلامي)، والمطعم الإسلامي لا يقدم الخمر ولا لحم الخنزير، ويقدم وجبات تماثل وجباتنا، أهم عنصر فيها لحم الضأن.

كيف دخل الإسلام الصين

اختلف المؤرخون، ومنهم الصينيون أنفسهم، في تاريخ دخول الإسلام الصين، إلاّ أنه من المؤكد أن الصين استقبلت أولى البعثات الإسلامية في عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٦٤٤ - ٦٥٥م) وأن هذه البعثات استمرت بمعدل بعثة كل أربع سنوات، وأنها أقامت علاقات طيبة مع امبراطور الصين في ذلك الوقت «تانغ» وبدأ انتشار الدين الحنيف منذ تلك الفترة.

وخلال ثلاثة عشر قرناً من انتشار الإسلام في الصين، ظهر عدد كبير من الأئمة الصينيين، عكفوا على دراسة الدين وزاروا الحجاز والعراق ومصر، لأداء الحج أو للدراسة بالأزهر الشريف، ومن بينهم «دون هوان» الذي عاش في أواسط القرن الثامن الميلادي، وزار بلاد العرب وألف كتاباً عنوانه (رحلة إلى بلد الكتاب) سجل فيه أحوال العرب والمسلمين، ولا يزال هذا الكتاب مرجع المسلمين في الصين في أمور الدين.

القرآن في الصين

عرف المسلمون الصينيون معاني القرآن عن طريق أئمة المساجد، وقد جمع هؤلاء معاني بعض السور في كتاب أسموه (خاتمة القرآن) وتضم سور: الفاتحة، ويس، والملك، والطارق، والأعلى، والضحى، والانشراح، والقدر، والزلزلة، والتكاثر، والعصر، والفيل، وقريش، والماعون، والكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد، والإخلاص، والفلق، والناس.. ثم ظهرت مجموعات أخرى من (خاتمة القرآن) تضم بعض الآيات من سور: البقرة، وآل عمران، والفتح، ويس، والملك، وجزء «عمَّ».

وفي القرن السادس الميلادي، ظهر الإمام (يوتشاو)، وهو أول من دعا إلى تأسيس الكتاتيب بعد عودته من الحج، وكانت تدرس القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

■ بعد تلاوة القرآن الكريم ودرس العلم الشرعي ■

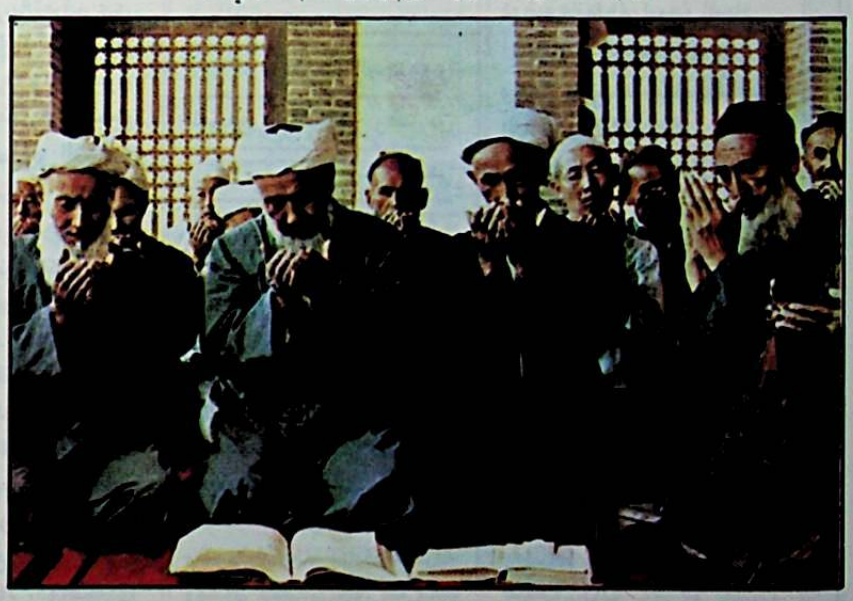

■■ تبدو الفرص متاحة الآن ، أكثر من أي وقت مضى ، للتعرف على ملايين المسلمين في الصين الشعبية ، ومد يد العون لهم ، وإقامة روابط وثيقة معهم .

الدولة نفسها في الصين ، تسعى إلى ذلك بعد سياسة الانفتاح الجديدة ، فهم بالنسبة لها نافذة يمكن أن تخرج منها إلى عالم أرحب وإنشاء علاقات صداقة معه .

والمسلمون يتوقون إلى ذلك ، فهم يحاولون وسط ظروف صعبة التمسك بتعاليم دينهم والحفاظ عليه .

وهم يعرفون كل شيء عن المسلمين في غربي آسيا والعالم العربي ويتابعون قضاياهم ، ويناصرونهم فيها ، ولكنهم يشعرون بتجاهل المسلمين لهم .. وهذا يؤلمهم ■■

بقلم : علي ماهر

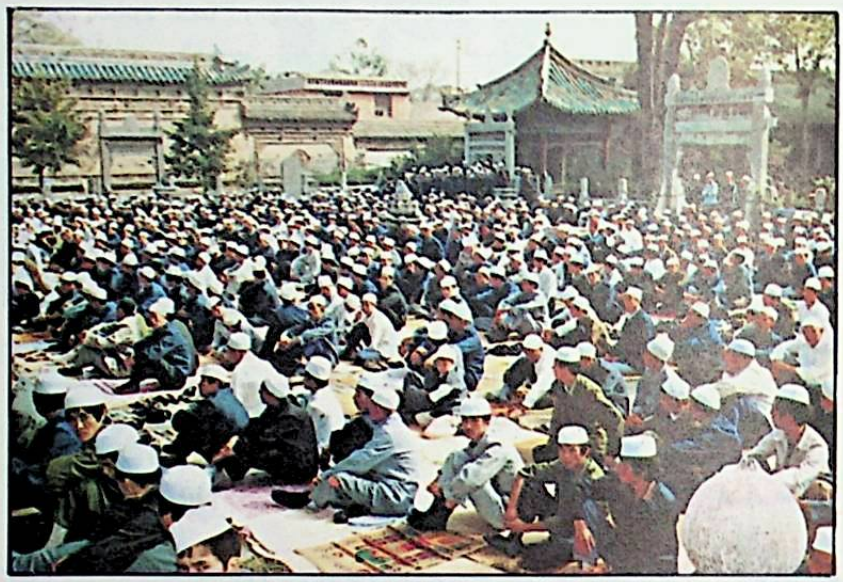

■ صلاة عيد الأضحى في مدينة « شيان » ■

■ التهاني بعيد الأضحى بعد الصلاة ■

باللغتين العربية والصينية ، وفي الفترة الأخيرة من القرن السابع عشر ، والنصف الأول من القرن الثامن عشر ، كثر الأئمة والعلماء المسلمون وكانوا يجمعون بين اللغتين الصينية والعربية ، وظهر منهم عدد كبير خاصة في مدينة (نانكين) العاصمة الجنوبية للصين .

لكن أكمل ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، لم تظهر إلاَّ في منتصف القرن الحالي ، وقد عكف على ترجمتها الأستاذ (محمد مكين ماجيان) ، الذي درس بالأزهر الشريف ثماني سنوات في الفترة من ١٩٣١م وحتى ١٩٣٩م ، وظهرت هذه الترجمة عام ١٩٥٢م ، ولا تزال هي المرجع الأساسي لمسلمي الصين الذين لا يتحدثون العربية ، وإن كان الأئمة يجيدون العربية خاصة كبار السن منهم .

المسلمون في ظل دولة شيوعية

ورغم أن دستور جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م ، بعد الثورة الشيوعية قد نص في مادته السادسة والأربعين ، على المساواة بين القوميات وحرية المعتقدات الدينية ، إلاَّ أن المسلمين الصينيين عانوا كثيراً ، كغيرهم من أبناء الأقليات والديانات ، من سياسة عصابة الأربعة في الصين برئاسة (لين بياو) في الفترة من ١٩٦٦م وحتى ١٩٧٦م ، فقد أغلقت المساجد ، واضطُهد الأئمة ، ونُقلوا جميعاً للعمل بالمزارع والمصانع في أعمال يدوية ، وأهملت الدولة حقوقهم كلها ، وكان كل من يجهر بتدينه أو إسلامه يعد رجعياً !!

وتغيرت الصورة منذ عام ١٩٧٨م ، فأعادت الدولة فتح المساجد وبدأت ترميمها ،

المسلمون في الصين بخير... ولكن !

استطلاع

وانعقد رسمياً في بكين (أبريل [نيسان] ١٩٨٠م) المؤتمر الرابع للمسلمين في الصين وانتخب هيئة جديدة للجمعية الإسلامية الصينية ، واحتفل المسلمون رسمياً بمقدم القرن الخامس عشر الهجري .

وتحرص الدولة الآن على إبراز الحرية الدينية للمسلمين ، ويجهر المسلمون بإسلامهم ، ويصلون في مساجدهم خاصة صلاة الجمعة ، ويحتفلون بالعيدين في المساجد .

المساجد في الصين

والمساجد الصينية لها طابع خاص ، هو الطابع الصيني ، فهي لا تشبه مساجدنا ، بل هي أقرب إلى القصور الصينية التقليدية : النقوش الإسلامية تكتب بالعربية والفارسية والصينية ، والمنبر يتوسط فناء المسجد ويعلو قليلاً عن الأرض ، والمساجد تحيطها الحدائق من كل جانب ، ولا توجد لها مآذن عالية .

في العاصمة بكين مسجدان قديمان ، جامع (دونغسي) ويتسع لحوالي (٧٠٠) شخص ، وهو مسجد أثري له صحن كبير مكشوف ، أعمدته من الخشب المنسق وفق الطراز الصيني ، وقد أعيد ترميمه عام ١٩٧٦م بعد أن أغلق طوال الثورة الثقافية ، وأصبح المسجد الرسمي في الدولة ، حيث يؤدي فيه السفراء العرب والمسلمون وكبار الزوار صلواتهم خاصة في الأعياد وخلال شهر رمضان المعظم وفي المناسبات الدينية .

أما المسجد الثاني فهو مسجد (نيوجيه) وهو مزخرف بالخطوط المذهبة ، والرسوم الزاهية . وقال لي المسؤولون الصينيون : إنه تم أخيراً رصد نحو (٢٠٠) مليون دولار من قبل الدولة لترميمه وإصلاحه باعتباره أثراً قومياً .

وهنا لا يخفي المسؤولون الصينيون ، أنهم يهتمون بترميم المساجد والكنائس والمعابد البوذية ، لقيمتها الأثرية التاريخية والسياحية ، وليس من منطلق رعاية الأديان أو بناء المساجد .

لقاء في شيان

كان لقائي بالمسلمين في الصين في مدينة (شيان XI,AN) وهي مدينة قديمة ، وتعد أول مدينة دخلها الإسلام في الصين ، فقد وصلتها أول بعثة إسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٦٥١م ، وكانت وقتئذٍ عاصمة للصين في عهد أسرة « تانغ » .

وتقع شيان إلى الجنوب الغربي من بكين ، ويرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة ، وكانت عاصمة للصين في بعض فترات التاريخ القديم ، وفيها متاحف لأقدم الحقب الصينية ، ولا يزال فيها أكبر تجمع للمسلمين في الصين .

في المسجد الكبير في شيان - وهو تحفة أثرية قديمة - استقبلني الإمام (ما لينجيه) إمام المسلمين في المدينة مقدماً نفسه **الحاج محمد يونس** سألته و ما لينجيه .. ضحك قائلاً : الأئمة في الصين لهم اسمان .. اسم صيني واسم إسلامي .. وهنا أحب أن أخاطبك كمسلم بالاسم الإسلامي .

●● قال لي الحاج الإمام محمد يونس :

... المسلمون في الصين أحسن حالاً الآن ، عددهم يصل إلى نحو (١٣) مليوناً ، وفي هذا الإقليم (مقاطعة شنشي) وحدها (١١٠) آلاف منهم (٥٠) ألفاً في شيان .. معظم المسلمين يتواجدون في غربي الصين ، فالإسلام جاء عن طريقين : من الجنوب عن طريق ماليزيا

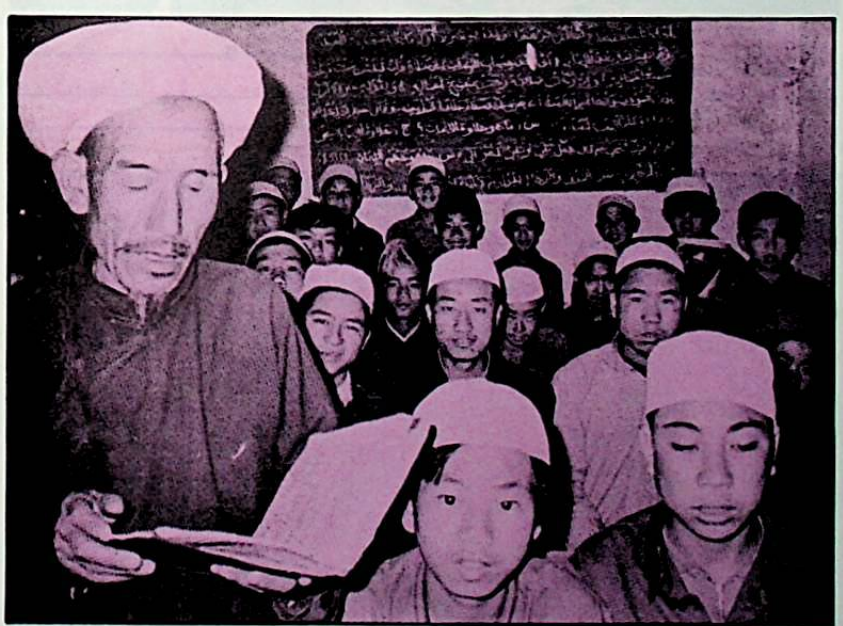

■ الحاج محمد يونس يتحدث عن الزخارف ويقرأ الآيات القرآنية المكتوبة على جدران المسجد الكبير في « شيان » .. ■

■ الآباء والكبار يعلمون الإسلام لأطفال المسلمين وبذلك استمر الإسلام في الصين ■

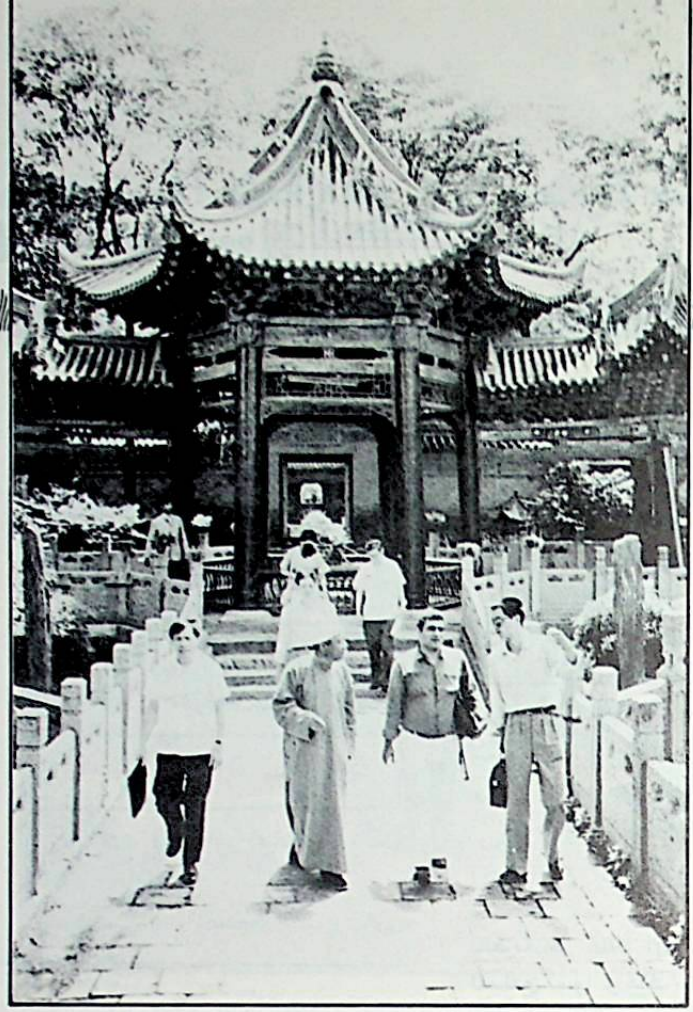

■ أمام المسجد الكبير في « شيان » ■

■ ١٣ مليون مسلم يتطلعون إلى الحج ؛ ولم يستطع ذلك منهم إلاَّ مائة وعشرون تقريباً .

وأندونيسيا ، ومن الشمال عن طريق الحرير وقوافله التي كانت تتجه شرقاً للتجارة .

قال الإمام يونس :

... إن المسلمين حافظوا على دينهم رغم التحديات الصعبة التي واجهتهم .

□ البعد المكاني عن قلب الأمة الإسلامية في الحجاز ومصر والعراق .

□ الظروف السياسية التي تحيط بهم كأقلية مضطهدة ، وقد تعرضوا لذلك خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في عهد الأباطرة ، كما تعرضوا له أيضاً خلال فترة حكم عصابة الأربعة .

ولكن ـ كما يقول الحاج يونس :

... إن التحديات لا تزيد المؤمن إلاَّ إصراراً .

●● كان الإمام يتحدث معي بلغة عربية سليمة ، وحوله عدد من المسلمين جاؤوا للترحيب بمسلم جاء من مصر ، وكان حريصاً طوال حديثه على الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .. وبدا لي واضحاً أنه ليس ملماً فقط بأمور الدين .. ولكن بالتاريخ الإسلامي ، وحياة الخلفاء والأئمة وقضايا المسلمين .

قال الإمام يونس :

• ... أوضاعنا الآن في تحسن ، المساجد أعيد فتحها ، والدولة اعترفت بنا كأئمة ووعاظ ، وأصبحت لنا حياة مستقرة ، كل مسلم له عمل يرتزق منه ، نعلم أولادنا أمور الدين في المساجد بعد صلاة العشاء وفي يوم الجمعة بعد الصلاة ، نحتفل بصوم رمضان وبالعيدين ، نجمع الزكاة ونوزعها على فقراء المسلمين ، (يلاحظ أن الزكاة قليلة بسبب ضعف مستوى الأجور في الصين) .. الجيل القديم يعلم الجيل الجديد .. والأب يعلم أولاده ، وبذلك نتوارث التعاليم الدينية .. نحن مسلمون سنَّة نتبع مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله .. نحن الذين نصرف على المساجد وعلى طبع الكتب الدينية ونتولى إدارة شؤوننا الدينية . • .

الدولـــة والمسلمون

■■ وحول العلاقة الحالية بالدولة ، قال إمام شيان :

ـ الآن الدولة تعترف بنا كأقلية مسلمة .. لنا حقوق المواطن الصيني العادي في الحقوق المدنية ، ولنا بعض الامتيازات كمسلمين ، لتتوافق مع أمور ديننا ...

■■ وما معنى بعض الامتيازات ؟!

ـ عندما صدر منذ سنوات قانون تحديد النسل بابن واحد لكل أسرة ، استُثني المسلمون منه حيث سُمح بولدين لكل أسرة منهم .

الموتى من غير المسلمين يحرقون ، بينما يسمح لنا بدفن موتانا في التراب .

المسلمون يحصلون على إجازة من أعمالهم في العيدين .

هذا ما قصدته ببعض الامتيازات ... أما باقي الأمور فتتم في نطاق الدولة ووفق قوانينها .. المسلمون ممثلون في المجالس المحلية كافة ، وعلى نطاق المحافظة والدولة كمواطنين صينيين وليسوا كمسلمين .. في مقاطعة (شنشي) وحدها عشرون مسلماً في مجلس المقاطعة الذي يضم (٧٠٠) عضو .

زواج المسلمين في الصين

قال الإمام محمد يونس :

... المفروض أنها تتم جميعاً في نطاق الدولة ، وهذا ما يكسبها قانونيتها ، ولكن بالنسبة لنا تمر في مرحلتين : مرحلة شرعية إسلامية ، تتم في المسجد ، وهي عقد قران إسلامي أقوم به .. وأسجل وثائقه بالمسجد .. والمرحلة الثانية وفيها يذهب العروسان إلى مكتب السجل المدني بالدولة لتسجيل زواجهما ، كأي مواطنين .

■■ وإذا تزوج مسلم في السجل المدني ، ولم يحضر للزواج الشرعي ، وإذا تزوجت مسلمة بغير مسلم ؟

ـ من وجهة نظر الدولة ، هو زواج رسمي .

المسلمون في الصين بخير... ولكن !

استطلاع

ولكن من وجهة نظرنا فهو غير شرعي .. وغير إسلامي .. وابتسم لي وهو يقول :

... ولكن ذلك لا يحدث فالمسلمون هنا متمسكون بإسلامهم .. وروابطهم العائلية قوية لا تنفصم ، وهم حريصون على الزواج من بعضهم بعضاً ، بل إننا نشهد الآن موجة من الشبان - غير المتدينين - يلتحقون بالإسلام .

●● [لاحظت بنفسي خلال زيارتي للصين ، اهتمام الشباب من الجيل الجديد ، بالعودة إلى الدين ، وأن يكونوا منتمين إلى ديانة أو عقيدة .. بعضهم يصبح مسلماً والآخر نصرانياً والكثير يتردد على المعابد البوذية القديمة] ●●

■■ وحول إجراءات الطلاق ؟

- إجراءات الطلاق في الصين ليست سهلة ، وأعتقد أن ذلك موافق لروح الإسلام الذي جعله أبغض الحلال إلى الله ، ويجب أن تكون له مبرراته ، وعند وجود سبب قوي نوافق عليه ، وتوافق عليه الدولة ...

اما تعدد الزوجات فهو ممنوع بنص القانون الوضعي ، إلّا انه يمكن للمرء أن يطلق زوجته ويتزوج من غيرها ...

عادات المسلمين في الصين

■■ وعن أهم عادات المسلمين قال :

- في عيد الفطر يصنعون الكعك والحلوى الشرقية ويهدونها لبعضهم بعضاً .. وفي عيد الأضحى ، ينحرون الأضاحي ويتناولون الطعام سوياً في صحن المسجد .. أو في مقر النادي الإسلامي في بكين والمدن الكبرى .. يؤدون صلاة العيد في الخلاء أمام المساجد متمسكين بالسنة في ذلك .. ويحرصون عند دخول المسجد على ارتداء الجلباب وغالباً ما يكون أبيض اللون .

حديث الأشجان

■■ وحول المشكلات التي يعاني منها مسلمو الصين قال وهو يبتسم ابتسامة محزون :

- هذا حديث الأشجان .. إننا نشعر بالغربة عن عالمنا الإسلامي .. نشعر أن المسلمين نسوا أن هناك (١٣) مليون مسلم في الصين ، يحافظون على دينهم وسط ظروف صعبة ... إننا نتابع كل قضايا المسلمين ، ونؤيد قضاياهم .. نؤيد حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه المغتصبة ، ونطالب بعودة المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين إلى أيدي المسلمين ، وليتنا نستطيع التطوع دفاعاً عنه ... نطالب بوقف الحرب الإيرانية العراقية لأنها حرب بين دولتين إسلاميتين ، ورفع السلاح بين مسلم ومسلم حرام ، نؤيد جهاد شعب أفغانستان ضد الاحتلال السوفييتي ... كل قضايا المسلمين نعرفها ، ونؤيدهم فيها وليتنا نستطيع المساهمة في حلها ، ولكننا لم نُدع إطلاقاً إلى أي مؤتمر إسلامي شعبي أو رسمي .. الدولة الآن في الصين تسمح لنا بذلك إذا تلقينا دعوة بل هي ترحب به .. لكن هذه الدعوة لم توجه لنا حتى الآن .

هناك أيضاً مشاكلنا الخاصة هنا كمسلمين في أقصى الشرق .. وحلها لن يكون إلّا بأيد إسلامية ..

ومضى الرجل مندفعاً يقول :

... إن دخولنا قليلة ، ولذلك فمصروفاتنا محدودة ، لقد نسخ أجدادنا القرآن الكريم وما نزال ننسخه ، لأننا لا نملك تكاليف طباعته بأعداد كبيرة ، الأجيال الجديدة لا تعرف العربية ، والكتاتيب اندثرت ، ونريد

■ مطلوب مدارس لتعليم اللغة العربية وأمور الدين . ■

■ المسجد في الصين له طابع خاص شبيه بالقصور الصينية التقليدية .. والنقوش تكتب على جدرانه بالعربية والصينية والفارسية ■

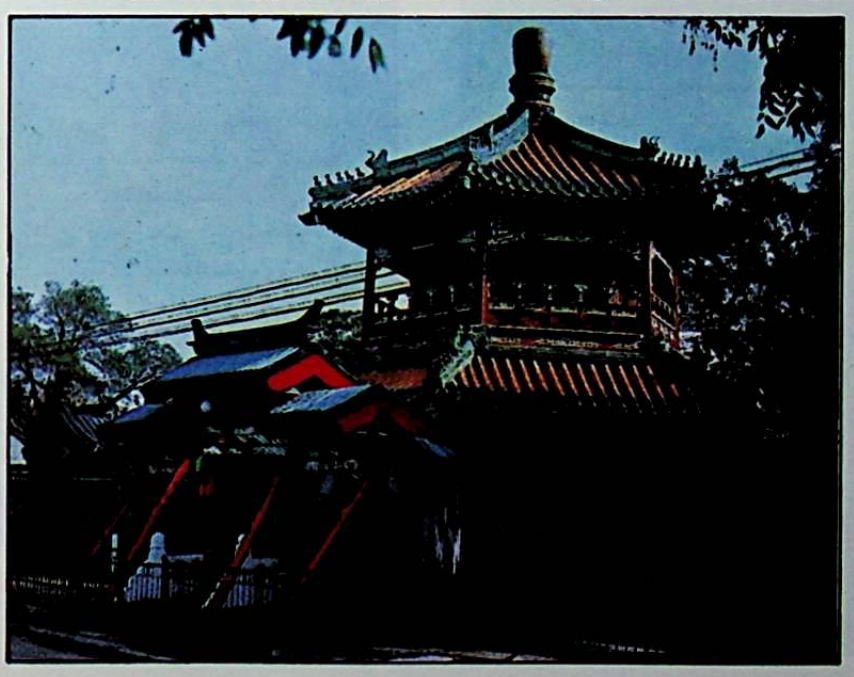

■ الدولة ترحب الآن بعلاقات المسلمين مع الدول الإسلامية .

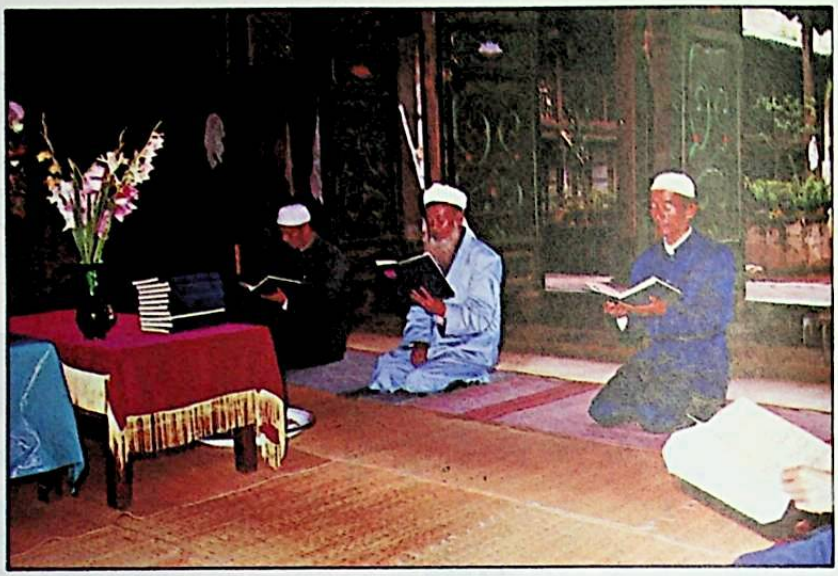

■ المسجد كان ولا يزال المكان الأهم لدراسة العلوم الشرعية ■

■ مطبوعات القرآن وتفاسيره لا تكفي والبعثات العربية قليلة ■

فتحها من جديد وأن تكون ملحقة بالمساجد ، دراسة العربية قاصرة على الجامعات التي لا تشترط الإسلام لدخولها ، والطلبة المسلمون كغيرهم من الطلبة قد يلتحقون بها وقد لا يلتحقون . وهم لا يهتمون بأمور الدين قدر اهتمامهم بأمور اللغة لخدمة الدولة ؛ نريد تعليم العربية لكل أبناء المسلمين ، وهم لا يعرفون منها سوى الفاتحة وبعض قصار السور لتأدية الصلاة ، وحتى الآن نقوم بشرح مبادىء الدين بالصينية فليست لدينا إمكانات تفرغ عدد من المعلمين ، لتدريس العربية لأبنائنا . فالكل يعمل .. وأنا أعلم كدارس للعربية من الجيل القديم أن كل مسلم يجب أن يدرس العربية ليعرف كيف يقرأ القرآن بلغته .. ونظر الإمام إلى السماء وهو يقول : « **لا يمكن أن تدرك عظمة القرآن إلاَّ عندما تقرأه بالعربية** » .

الحـــج

ومضى **الإمـام يونس قائلاً** :

الحج بالنسبة لنا مشكلة كبيرة .. الدخول قليلة ، وكان الحج ممنوعاً من قبل الدولة حتى ست سنوات مضت ، ثم بدأت الدولة توافق على سفر بعثة حج رسمية .. لكن عددها لا يتجاوز عشرة أو عشرين عضواً من كبار الأئمة ، ونحاول أن نعالج ذلك بجهودنا ، وبمواردنا وهي محدودة ، وتمكنا في العام الماضي من تسفير نحو (١٢٠) حاجاً فقط ـ تصور ـ من (١٣) مليون مسلم لا يزيد حجاجه عن بضع عشرات !

■■ **دعنا نحدد مطالب المسلمين في الصين .**

ـ **أن يعرف المسلمون أن هناك (١٣) مليون مسلم يتطلعون إليهم في الصين ليساعدوهم في نشر الدين وتعلم العربية ، في بناء المساجد وإلحاق الكتاتيب بها لتعليم العربية ، في نشر الكتب الإسلامية وطبعها ومدهم بالمصاحف وخاصة المرتل منها فقد سمعناه ، ولكن ليست لدينا سوى نسخ محدودة ، ومساعدتنا في أداء فريضة الحج ، وتخصيص عدد محدود في الجامعات الإسلامية والعربية كلها لأبناء المسلمين في الصين للدراسة فيها .**

هل تتصور أن جميع علمائنا من كبار السن كانوا من خريجي الأزهر الشريف ، وظلت بعثات الأزهر قائمة حتى جاءت الثورة الثقافية وأوقفتها ؟! الآن يوجد لنا عشرة طلاب يدرسون بالأزهر .. ولكن أين الجامعات الإسلامية الأخرى .. لو منحت كل جامعة إسلامية ـ خاصة الجامعات العربية منها ـ عشر منح سنوياً لمسلمي الصين ، لأصبح لدينا آلاف الدارسين الصينيين .

■■ **وهل توافق الدولة الآن على ذلك ؟**

[هنا أجاب مرافقي الصيني]

ـ إن الصين في ظل سياسة الانفتاح الجديدة ، توافق على ذلك بل ترحب به .

ومضى إمام مدينة (شيان) يقول :

... إننا نفكر في بناء فندق إسلامي في هذه المدينة الإسلامية ، وعرضنا الأمر على الوفود الإسلامية والعربية التي زارتنا .. من الكويت وسلطنة عمان والمغرب وتونس ومصر وغيرها .

فهذا بلد سياحي أثري ، وبناء فندق إسلامي سيدر علينا دخلاً ثابتاً نستطيع في ظل الظروف الاقتصادية الجديدة في الصين أن نمول منه بناء المساجد وفتح المدارس وتمويل دراسة أبنائنا لأمور الدين في الخارج ، وزيادة عدد الحجاج ..

وقبل ذلك كله ، نريد أن نشارك في المؤتمرات الإسلامية ، وفي قضايا المسلمين فنحن منهم .. وإذا كانت المشاركة في المؤتمرات الرسمية غير ممكنة الآن ، فيجب أن نشارك في المؤتمرات الشعبية الإسلامية .

وعندما كنت أودعه ، كان السؤال يتردد في ذهني .. ترى هل من طريق لمساعدة المسلمين في الصين ؟